كشكول الحب

كشكول الحب

كتاب في أدب العشق

تأليف

عايض حمد القحطاني

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشـــرطة أو اقـــراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلـــومات، واســـترجاعها مـــن دون إذن خطـــي مـــن الناشـــر

الطبعة الأولى

1429 هـ - 2008 م

ردمك 978-9953-87-318-3

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1 - 961+)
ص.ب: 5574 - 13 شوران - بيروت 2050 - 1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1 - 961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

إهـــداء

هـذا العمـل وردة أقدمها للمحبين إهداء بلا مقابل، كلامًا أنشره لهم عطرًا يستنشقونه، وبلسمًا للقلوب الحزينة.

هـــــذا كـــــتاب متـــــيم يـــشكو الـــصبابة في كـــتابه

لـــو كـــان يـــنطق ذا الكـــتاب شـــكا إلـــيكم عظـــيم مـــا بـــه

أؤمن بالله حتى لو لم أره...

كما أؤمن بالشمس حتى ولو لم تسطع...

وأؤمن بالحب حتى ولو لم يظهر...

عايض القحطاني

المحتويات

المقدمة 13
مقدمة 13
مدخل 17
ولع البداية 19
سبحان الله 22
شذرات قلم 25
صفاء السريرة 28
استشفاء بالدموع 34
لماذا الحب مؤلم 41
انتحار ثلاثي 45
دعاء للعاشقين 47
لحظة غرور 48
تنفيس في التسمية 54
الحصان الأبيض! 58
الصداقة والحُب 59
الحُب وأشياء أخرى 64
الإعجاب شبيه الحب 67
لا عليك 70
ردود وورود 71

رائحة الحُب 77
حمامتان 80
علي ونينو 82
عظمة في الحب 84
فارسية عفيفة 91
دراسة 92
النظرات 93
رائعة المجنون "المؤنسة" 95
نظرة عابرة 98
حُب أو لا حُب 100
أرجوك هل تتزوجني؟ 101
الحزينات 110
يصف ويعف 113
ومن الحب ما قتل! 118
ليلة زفاف مختلفة 123
كازانوفا 126
قسمة ونصيب 129
فن الاعتذار 131
شيخٌ مقنع! 135
الأُنوثة 136
الحُب من وجهة نظر أخرى! 140
الحُب طائر 141

نحن والنساء 143
يا صبية 150
القيسان 152
المجانين 157
أروع من وصف 159
متى تتزوج؟ 162
نهايةٌ حزينةٌ 164
لابلاس 166
طاووس أعزب 167
فتاةٌ عاريةٌ! 169
كلية الحُب والدراسات العاطفية 170
مجنون ذكي 171
مشاهير العشاق 172
مشهدٌ 174
أيهما تختار؟ 175
تم الزواج 178
قبيحٌ وأريب 180
نفسية المرأة 181
حق وحق 182
حديقة الحب 184
المراجع 187

* * *

مُقَـدِّمَـة

أعْـرف أن كلمـة "كشكول" كانت مصدر إلفات لناظرك الكريم، وقـد أردتُ بهذه الكلمة الدخيلة على اللغة العربية أن أجذبك إليّ حتى تـتحدث معـي في حديث نتبادل فيه أمتع الكلام وأجوده، وماذا أصنع بمـا عـندي من الحديث إذا لم يكن معي قارئ أطارحه القول، وأساجله الحديث، ونتبادل من الحِكَم سحراً حلالاً.

سـأعرض لـك في "كـشكول الحـب" كراسة رائعة، فيها قصص شـتى، وأحاديـث بعـضها لا يـزال يُـروى، ترى معي نوادر تتحرك لها الطـباع، وتهـش لهـا الأسمـاع، تـسر المحزون، أصفى من رائق الشراب، وأبهـى مـن أيـام الـشباب، طعمتُها لك بأبياتٍ أعذب من الماء الزلال، وألطف من السحر الحلال، لو قُرئتْ على الحجارة لانفجرت.

خـذ هـذا العمل مني جليسا لوحدتك، وأنيسا لوحشتك، يسرع لفظـه إلى أذنـك كمـا يـسرع معناه إلى قلبك، لأننا سنتحدث فيه عن فاكهـة الحديث، عن الحب وسره العصي، هذه الكلمة المنمقة "الحب" الـتي دار حولها الأولون وسموها بتسميات عديدة لكن المعنى بقي واحدًا هو الحُب.

وكمـا أن لـسكان الأسـكيمو خمـسين كلمة لمعنى الثلج لأنه يشكل جـزءاً كـبيرًا مـن الحـياة بالنسبة لهم، كذلك الحب، له معانٍ كثيرة وأسماء عديدة لمن يعيشه، لكنه يبقى هو ذلك المبهم "الحب" والحب لمن يعيشه!

سنفجر في هذا الكشكول براكين الحب الخامدة في داخل كل إنسان، سنعيش الحب بفطرةٍ سليمةٍ، لا نتكلف فعله، ولا نتقمص فيه أدوار المحبين، لكن نحاول بقدر الاستطاعة إخراجه من داخل النفوس، فهو كامن كـ ـمون الشرر، نحن مَن نريد حبسه لأننا نعاني منه الكثير!

لأحد العارفين:

سألني فتى عن الحب قلت له: انتظر

سألني عجوز عن الحب قلت له: تذكر

سألني رجل عن الحب قلت له: حدثني أنت عنه!

الحب هو "الحب". يعرف ولا يعرّف. ذلك الحب، جميل في متناقضاته، عسير إيجاده، جميل تمل ـه، من السهل أن تفقده، ومن الصعب أن تنساه، وقد يكتب الرجل كتابا عن الحب، ومع ذلك لا يستطيع أن يعبر عنه، ولكن كلمة واحدة عن الحب من الرجل إلى المرأة تكفي لذلك، وتلميحة بسيطة من المرأة إلى الرجل كفيلة أيضا بذلك!

قالوا كتبت الكتاب مجـ بًا فأجبتهم متبسما وقلت كلا

لكن فؤادي قد تلاشى من حديث الحب واضمحلا

وفي كلامنا عن الحب، سنستبعد كل كلمة خادعة استخدمت الحب غطاء للوصول إلى غرض دنيء وغير مشروع، سنعلن الحرب على كل من يريد احتلال أرض الحب الخضراء، ليدنسها بوحله، سندعوهم إلى السلم فإن جنحوا للسلم فهلم هلا، و ن أبوا إلا العيش مع الشهوة والهوى، فالحرب بيننا وبينهم سجال.

وإن كان لابد من الصلح، فلنعقد صلحًا بين الهوى والعقل، ولتسقط بعد ذلك كل رواية حب خليعة خدعت أحداثًا بعمر الزهور، ولتسقط كل قصيدة تدعو بمحتواها إلى الفجور، وليسقط كل أديب دس لنا السم في العسل.

أنا الهوى العذري فني فإذا صبوت فلا تلمني
أنا في الهوى فرد فلا تذكر سواي ولا تثني
فاسند أحاديث الغرام مسلسلا إن شئت عني
وإذا جهلت طريقة منه فسلني وامتحني

وإذا نجح فرويد في أن يوجه الناس نحو الجنس بدلاً من الحب، فإن راية العفة لا زالت تخفق ، وما فائدة الحب إذا خسر العفة والروحانية والطهارة ومعاني التضحية والبطولة والحماسة، التي تحثُّ على سمو الأخلاق، وأين معاني الحب إذا انصرف الرجال إلى استثمار معارفهم النفسية للحصول على المتع المادية، وانصرفت النساء عن مُثُلهن العليا إلى توافه الحياة وسفاسفها فنزلن عن عروشهن في القلوب.

وإني قسمت الفؤاد فنصفه عفيف ونصف في حديد مكبل

سيكون هذا الكتاب تنفيسًا لكل متعفف، وملجأ لكل شريف، وملاذًا لكل محب، والله يجعل للمتعفف مكان اللوعة سلوة، ومكان الحزن فرحة، ومن راقب تصرفات الناس فإنهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً، وأكثر الناس ـ لو تمعنت ـ لا يعلمون.

قل للذين تقدموا قبلي ومن بعدي ومن أضحى لأشجاني يرى

عـني خـذوا وبي اقتدوا وبي اسمعوا وتحدثــوا بــصبابتي بــين الــورى

ســأكتب للجمـيع بعاطفة الأبناء الذين حولتهم الحياة شيئًا فشيئًا إلى آبــاء لآبــائهم، إذا كانــت المــسألة مسألة حب. سأكتب وأنا في الحد الفاصــل بــين الحــب والــلا حــب ليرى الجميع ماذا يفعل فوران تلك العاطفة السامية عندما يكون هناك صقيع من المشاعر.

لــيرى الجمــيع لمــاذا يــأتي هــذا الحدث فجأة ويذهب فجأة، لنرى الــردود، ومــا يــصاحبها من الورود، وكم من كلمات اشتعلت بنيرانها أفئدة، وتمرغت على رمادها أوجه، واحترقت بنيرانها أيد، فهلم لحديث الحب ويا له من حديث.

* * *

مـــدخل

كـان صـغيرًا مراهقًا،لم يكن يعرف أن حديث الحب سيكون نديمه وزمـيل دربـه، في يـوم مـن أيـام المراهقة، بعد أن بدأ يجري في دمه ماء الـشباب، وفي روتين يومي ممل، كما هي حياة كل مراهق بائس يعتقد أن الجميع يكرهه.

ذهب إلى إحدى العيادات الطبية يلتمس الشفاء عند أهل الدواء، وبيـنما هـو ينتظـر، وقعت عيناه على فتاة لامعة تأخذ البصر، وضيئة الـوجه، جميلة الجبين، ثابتة النظر، سريعة الخطى، شامخة الأنف، تمشي بكبرياء غير مصطنع، تبدو مطهرة من كل ذنب.

أحـس وقـتها بانجـذاب رهيب نحوها، اختلجت وهي تنظر إليه، فاخـتلج لاختلاجها، عرف من نظراتها أنها تبادله مثل ما يخفي لها بقدر الحمـاس والامتـنان، ينظـر إليها فتصد عنه، فإذا صد عنها نظرت هي إليه، حتى يلتفت ناحيتها فتعاود الصد.

لم تكـن تلـك الفـتاة عاديـة كمـا الفتـيات، أحس وقتها أنها أتت من كـوكب آخـر، لـولا أنـه رآهـا تقـود أمهـا العجوز معها، بعد تبادل تلك النظرات السريعة، تحاملت نفسها وذهبت الفاتنة مع أمها، أحس وقتها أنه يـريد أن يحملها مع أمها إلى حيث أرادتا، بلا أجر ولا شكر، جلس يحملق بعـين الـنادم الـوجل، ذهبت، كان عليها أن تغادر، مرورًا بجانبه، بشكل لا يمكن لها أن تمر دون أن تراه، وتركته بنظرة هي أجمل تعبير على وجه إنسان.

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشـــارة محـــزون ولم تـــتكلم
فأيقنت أن القلب قد قال مرحبا وأهــلا وسـهلا بالحبـيب المتـيم

تركته بنظرة مكلومة، مليئة بالحديث، ممزوجة بقليل من الأسى، لا يمكن لبشر أن يراها في ذلك الوقت إلا وذهبت نفسه عليها حسرات.

وأقسم لو أبصرتنا حين نلتقي ونحـن سـكوت خلتـنا نـتكلم!

مخلّفةً في نفسه غصة من أسى، نسي وقتها لماذا أتى إلى الطبيب، لم يقتف لها أثرًا بعد ذلك ولا سمع عنها خبرا، منفطر القلب، وبأَ ىً لا يحتمل، يمزق أحشاءه، طوال شهرين كاملين من المواظبة، مشغوفًا لرؤيتها، يذهب في كل أسبوع بنفس الزمان وفي نفس المكان الذي تركته فيه، يؤمل نفسه لعله يظفر بها مرة أخرى لكنها لم تأتِ.

جلست لها كيما تمر لعلني أخالسها التسليم إن لم تسلم

منذ ذلك الحين وخيالها، تلك الملاك، يأتي عليه فجأة ويختفي فجأة.

ودب هواها في عظامي وحبها كما دب في الملسوع سم العقارب

كانت أول جرح حب لمس قلبه، أحس كأنما قفز في فراغ، كانت كأنما الجزء المفقود الذي يبحث عنه، شعر بانفجار زبد مؤلم في أحشائه، وبقيت تلك الفتاة في مخيلته كحب في داخل حب، تلك النظرة العارضة كانت الأساس لشعلة حب متقدة لم تكن لتخبو حتى هذه الساعة!

ولع البداية

من جرب وعاش الحب وسنينه، وعرف كيف يبدأ وكيف ينتهي، وعاش حزنه وفرحه، لا يسعه إلا أن يوافق أن أجمل مرحلة فيه هي بدايته، الداخل في الحب والخارج منه، دائما يتشوق إلى اللحظات الأولى التي رق فيها قلبه أمام شخص جديد في حياته.

الشغف والولع اللذان يملآن قلبك في أول دقائق اللقاء هما وقود العلاقة وذروة انبساطها، حتى لو لم تبدأ بعلاقة جدياً، تستطيع أن تصف أول العلاقة كمرحلة "غزل" تأخذ بقلبك إلى مقامات العشاق المتيمين.

أول الحب في القلوب شرارة تختفي تارة وتظهر تارة

وللعلم، فإن أول العلاقة حتى لو لم تكن موفقة فهي رائعة بحد ذاتها!

في كتابها "كيف تجذب أي شخص في أي وقت في أي مكان" سوزان رابين[1] تقول: "في لحظة معينة في حياة كل شخص، لابد أن نلمح شخصًا يبدو لنا للوهلة الأولى أنه منتهى الكمال وعين الجمال من بني جنسه، وأنه بالطبع الشخص المناسب الذي سيملأ الدنيا عليا، ونحن نعرف أننا لن نتقابل معه أو حتى يصادف أن سنتقابل، لكن بمحض القدر، أو صدفة، نقابل الشخص الذي علقنا حلة الكمال عليه، ومن الوهلة الأولى نتفاجأ بخيبة شديدة، فهو أو هي من

(1) How to Attract Anyone, Anytime, Anyplace. The smart guide to flirting Susan Rabin

الـنوع الـذي لا يـستطيع أن يـضع ثـلاث كلمـات في جملة مفيدة، في الـبداية نـشعر بخيـبة الأمـل لانعـدام الـصفات الـتي تخيلناها في ذلك الـشخص، لكـن روعة اللقاء الأول جعلتنا لا نندم لأن ذلك الشخص لا يستحق أيا من مقدمات العلاقة".

لـيس هـناك مـن لم يتعـرض في حبه أو في علاقاته لفشل أو خيبة أمل، وبقدر السعادة التي يمنحها الحب يكون هناك عذاب وشوق وقلق وحـرمان، ولا بـد لمن تذوق سعادة الحب أن يتجرع من غيرته وغرابته وأحـزانه، والحـب في مـراحله مثل قصص الروايات في طلوع أحداثها ونـزولها، لهـا بدايـة وموضوع ونهاية ومعظمها تجري في نهج متشابه إلى حد ما.

بدايـة الشاب الوسيم الذي يملأ خيالكِ حواء قد يبدو في غير هذا الجمـال الباهـر الـذي تتخيليـنه، فـسترين الـشَعر يكسو صدره ويملأ سـاقيه، وسترين الذي يكاد يذوب رقة وحُنُوًّا ويكاد يملأ الكون بثقافته ليس إلا رجلا فظا غريرا يقف أمام المرآة يشاهد عضلاته المتهدلة بنظرة إعجاب وغرور، سترين لطفه يوما يخص غيرك من النساء وسيتذمر إلى الحد الذي يثير السأم في قلبك!

والـبداية غالـبا ما تكون سعيدة وجميلة وهانئة، بل يجب القول أن مـرحلة بداية الحب هي أجمل وأمتع وأحلى مراحله بلا أدنى شك، وقد صـاحبت مَـن كـان يعـيش علـى بدايات الحب فقط، ولا يتعلق قلبه بأحـد، ولا يطمـع في خوض علاقة عميقة، ولا يرغب حتى في الولوج في أحاديـث مطـولة مع مَن يحب، كان دائما قادراً على أن يدرج النهاية في البداية بشكل متقن.

ألمّ بـــه الكمـــال فـــصار ســـوراً كدائـــــرة نهايـــــتها ابـــــتداء

ولـتمكن الـبداية سند وتفسير علمي ذكره الدكتور "ليبوفيتز" في كـتابه[1] الـذي يقـول فـيه أن المخ في بداية وأثناء المرحلة الأولى للحب يفـرز مادة (فينيل إيثيل أمين) وهي المسؤولة عن حالة الرضا والسعادة التي تنتاب المحبين أثناء هذه الفترة.

لكـن لا يـستمر إفراز هذه المادة بنفس المعدلات في المرحلة التالية الـتي يفـرز فيها المخ مادة "الأندروفينات" وهي المطمئنات الطبيعية التي تعطـي الإحـساس بالأمـان والاسـتقرار والارتـياح ثم عـندما تقـل "الأندروفيـنات" في الجـسم تـبدأ المـتاعب ويقـل الإحـساس بالأمـان والاستقرار ويظهر الملل وتتوتر العلاقة وقد يفترق الحبيبان.

* * *

(1) من "أسرار الحب والزواج والجنس" ناصر أبو الحمد 2006.